

الاستشراف الاستراتيجي ودوره في تطوير الأقاليم (منطقة سنار أنموذجاً)

أستاذ العلوم السياسية المشارك - جامعة بحري

د. ريم محمد موسى

مستخلص :

برزت أهمية دراسة التخطيط الاستراتيجي كعلم مستقل في الآونة الأخيرة كفرع من العلوم الإدارية ، غير أنه ما لبث أن ولج باب العلوم السياسية عندما أصبح من الضروري أن تخطط الدولة ومؤسساتها بشكل علمي مدروس لجميع سياساتها من أجل الحفاظ على مواردها واستغلالها بالصورة الأمثل من جهة، وبغرض تحقيق التكامل السياسي القومي وتقليل الصراعات السياسية الداخلية وتحقيق العدالة الاجتماعية من جهة ثانية، وتحقيق الأمن القومي من جهة ثالثة، خاصة في ظل عالم اليوم الذي تسوده المنافسة الحادة بين الدول. تهدف الورقة للاضطلاع بمهام المعالجة الفكرية للمفاهيم المتعلقة باستشراف المستقبل و الاستشراف المستقبلي للتخطيط الاستراتيجي للأقاليم ، حيث طرحت سؤالاً رئيسياً يتمثل في : ما دور استشراف المستقبل في التخطيط الاستراتيجي الناجح للأقاليم وذلك بالتطبيق على منطقة سنار الجغرافية بوسط السودان ، وفي وجود فرضية أساسية تتمثل في : أن عملية استشراف المستقبل تسهم في وضع خطط استراتيجية مستقبلية ناجحة لتطوير الأقاليم في جميع المجالات ، وذلك بأساليب تساعد على رسم هذه الخطط المستقبلية. تم استخدام المنهج التاريخي لاستقراء الأحداث التاريخية ، بجانب المنهج التحليلي الوصفي ، ومنهج دراسة الحالة بالتطبيق على منطقة سنار الجغرافية .

الكلمات المفتاحية : الاستشراف الاستراتيجي ، الدور ، التطوير ، الإقليم ، سنار .

Strategic Foresight and its Role in the Development of Regions

Sennar Area as A model

Reem Mohammed Musa Habib alla

Abstract:

The importance of strategic planning as an independent science appeared recently as a branch of administrative sciences, but it entered the field of political science when it became important for the state and its institutions to plan scientifically for all its policies in order to preserve and optimally utilize its resources on the one hand, and for the purpose of achieving national politics integration, preventing internal political conflicts on the other hand, and achieving national security on the third hand, especially in today's world in which competition between states prevails. The aim of study is to clarify the concepts related to the foresight of the future foresight of the strategic planning of the regions. it is presented a main question: what is the role of future foresight in the successful strategic planning of the regional, by applying to the geographic area of Sennar in central Sudan. And basic hypothesis: The process of foreseeing the future contributes to the development of successful future strategic plans for the development of the regions in all fields. The researcher used the historical method, the descriptive analytical method, and the case study method applied to the geographical area of Sennar.

Key words: Strategic Foresight, Role, Development, Territory, Sennar.

الدراسات المستقبلية و الاستشراف الاستراتيجي للإقليم .. مدخل مفاهيمي :

علم المستقبليات أو « الدراسات المستقبلية » هو علم يختص بـ « المحتمل » و « الممكن » و « المفضل » من المستقبل، بجانب الأشياء ذات الاحتماليات القليلة لكن ذات التأثيرات الكبيرة التي يمكن أن تصاحب حدوثها ، حتى مع الأحداث المتوقعة ذات الاحتماليات العالية ⁽¹⁾ . ويعود ظهور هذا العلم إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية، حيث رأت الدول المنتصرة في الحرب أنه يجب تجنب ويلات الحروب والعمل على توقع الأحداث التي قد تؤثر على العلاقات بين الدول من نواحٍ سياسية واقتصادية واجتماعية، ويهتم موضوع الدراسات المستقبلية بالادراك للبعد الفلسفي في مفهوم الزمن الذي شكل نقطة اختلاف بين الفلاسفة ، فهناك فريق أعتبر الزمن مفهوماً منفصلاً عن غيره مما يترتب عليه الاعتقاد بالثبات والدوام أمثال زينون وكانت ، وهناك فريق آخر يرى

أن الزمن غير منفصل عن الحركة والظاهرة أمثال أرسطو وجون لوك الذي وصف الزمن بأنه « التغيير الكمي للأحداث ». وهناك بعد آخر في موضوع الدراسات المستقبلية هو البدائل المختلفة لمسارات الظاهرة في تطورها⁽²⁾.

وعلى ذلك يمكن تعريف الدراسات المستقبلية على أنها : العلم الذي يرصد التغيير في ظاهرة معينة ويسعى لتحديد الاحتمالات المختلفة لتطورها في المستقبل، وتوصيف ما يساعد على ترجيح احتمال على غيره ، وعلى هذا الأساس تتباين الدراسة المستقبلية عن الدراسة الاستراتيجية ، فالثانية تقوم على هدف يكون قد حدد سلفاً ثم البحث عن أدوات تحقيق هذا الهدف، بينما الدراسة المستقبلية تسعى لإستعراض الإحتمالات المختلفة للظاهرة . كما تختلف الدراسة المستقبلية عن التنبؤ في أن الأخير يحسم في أن الظاهرة ستتخذ مساراً معيناً ، بينما لا تزعم الدراسة المستقبلية مثل ذلك⁽³⁾.

والاستشراف المستقبلي *Future observer* هو تطلع نحو المستقبل لتوقع طبيعة وأهمية التطورات المستقبلية باستخدام معلومات من الماضي والحاضر بمحاولة التنبؤ ببعض ما قد يحدث في المستقبل ، وقد يختلف الاستشراف المستقبلي عن التنبؤ *forecasting* لان التنبؤ هو التقدير بحدوث بدائل معينة للمستقبل بناء على تتبع مسار متغيرات معينة في الماضي والحاضر ومصدر تأثيرها على ظاهرة ما في المستقبل ، بحيث ينتهي بتطور تلك المتغيرات ويؤدي إلى حدوث بديل معين دون غيره⁽⁴⁾.

وهناك أسس منهجية يجب أن تقوم عليها عملية الإستشراف المستقبلي وهي⁽⁵⁾ :

- الشمول والنظرة الكلية للأمور .
- مراعاة التعقيد ، بمعنى تفادي الإفراط في التبسيط .
- القراءة الجيدة للماضي والحاضر .
- المزج بين الأساليب النوعية والكمية في العمل المستقبلي.
- الحيادية والعلمية .
- الإدراك الكامل بأن أفضل أنواع المعرفة هي معرفة المستقبل .

والتخطيط الإستراتيجي هو عملية منهجية تسعى إلى تحقيق تصور واضح حول مستقبل شئ ما من أجل تحويله إلى أهداف تعتمد على عدد من الخطوات ، وهو وضع الأهداف العامة لبيئة العمل ثم اختيار الوسائل المناسبة للتنفيذ ، وهو بالتالي العملية التي يتم من خلالها وضع الاستراتيجية ، وتتضمن التحليل الاستراتيجي والاختيار الاستراتيجي وتحديد البدائل⁽⁶⁾ والاستشراف الاستراتيجي للأقاليم هو وضع استباق الاستشراف لخدمة العمل الاستراتيجي في منطقة جغرافية معينة ، وهو العملية التي يتم من خلالها تصور التطوير داخل الإقليم المعين وفقاً لخطط استراتيجية بعيدة المدى (7) . ويختلط مفهوم الاستشراف الإقليمي ببعض المفاهيم المشابهة مثل التدبير ، التنمية المستدامة ، التخطيط ، الاستراتيجيات ، والتهيئة . ويعتمد الاستشراف الاستراتيجي للأقاليم على ثلاث أزمنة تسمح بتنظيم الاستشراف الإقليمي وهي⁽⁸⁾ :

- الاستباق : وهي الزمن الذي يقدم فيه تصور إجمالي للمحيط الإقليمي والحاضر والمستقبل ، ويسجل المناخات الممكنة وكل المخاطر والتحديات .
- التملك : وهو زمن صياغة الأعمال المحلية استعداداً للتغيرات المستشعرة ، والتي تصدر عن المؤسسات لأنها هي التي تترجم التملك الإجمالي للاستشراف الإقليمي .
- الفعل : وهو زمن اقتراح مخطط استراتيجي إجمالي للأقليم ، ويكون ملزماً للمسيرين وضمن مسؤولياتهم .

ومن الملاحظ أن نمط التفكير المستقبلي في المشرق العربي لا يزال محدوداً ، فهو تفكير خيطي يعتمد على معادلة خيطية مستقيمة تمتد من الماضي إلى المستقبل دون دراسة المؤثرات التي يمكن التدخل بها وتطويرها حسب إرادة أصحابها ، لذلك تبقى الدول العربية في دائرة التبعية للأمم المتقدمة ولا تزال فيها الدراسات المستقبلية محدودة ولا تمثل جزء من نسيج التفكير الاجتماعي أو من الممارسة الفعلية سواء كان على مستوى الهيئة الحاكمة أو على مستوى الأفراد⁽⁹⁾ . وبالرغم من ذلك أهتم المشرق العربي بالدراسات المستقبلية وأزدهرت عبر ثلاث موجات نتيجة زخم الفكر الاستشرافي ، فكانت الموجه الأولى بعد الحقبة الاستعمارية ، والثانية صاحبت حرب الخليج الأولى ، وموجة ثالثة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر في العام 2001م .

جغرافية وتاريخ إقليم سنار :

تقع منطقة سنار جنوب شرق الخرطوم في ولاية سنار بوسط السودان ، على الضفة الغربية للنيل نحو 500 كيلومتر ، ويبلغ عدد سكان المدينة نحو 160 ألف نسمة ، أما الولاية عامة التي تعرف بولاية سنار تبلغ مساحتها 40.680 كلم ويبلغ عدد سكانها 1.400.000 نسمة تتوزع في ثلاث محليات وتعتبر مدينة سنجة عاصمتها الإدارية (10) . وتعددت الروايات في أصل تسمية المنطقة بسنار ، فهناك رواية بأن أصل الكلمة يعود إلى اللغة النوبية القديمة ويعني « عاصفة المطر » ، خاصة وأن الإقليم يقع في المنطقة المدارية المطيرة . بينما يرى البعض الآخر أن التسمية تعود لفترة تاريخية حديثة حيث بدأت كقرية لتعليم القران والأسم مركب من لفظين «سن» و«نار» وتعني اللهب إشارة إلى نار القران ، كما يقال أن سنار هو أسم امرأة سميت المدينة عليها ، ولكن لاتوجد مصادر تاريخية تؤكد ذلك (11) .

مثلت سنار بفنائها الواسع مهداً للحضارة السودانية القديمة ، ومجالاً جغرافياً وثقافياً قامت فيه دول وأزدهرت فيه ممالك ، فعلى ضفاف نهر النيل الضيقة الممتدة من الشلال الأول حتى ملتقى النيلين الأزرق والأبيض أزدهرت مملكة مروى- أو كوش في القرن الثالث قبل الميلاد ، وفي ذلك الفضاء الواسع أيضاً قامت الممالك المسيحية الثلاث نوباتيا ، المقره ، وعلوه . ثم قامت الدولة السنارية عام 1504م ، وهي أول دولة عربية إسلامية قامت في السودان بعد دخول وانتشار الإسلام في ربوعه ، ولم تكن سنار حاضرة أول سلطنة إسلامية في السودان فقط ، بل أصبحت عنواناً للبلاد ومركزاً مهماً للإشعاع الثقافي والإسلامي في أفريقيا ، وكان أهل السودان في

عهد مملكة سنّار يعرفون بالسّنّارية وربما وصفوا بالسنانير. وقامت تلك المملكة نتيجة تحالف بين قبائل سودانية كانت تسكن وسط السودان، وتحديداً نتيجة تحالف بين الفونج والعبدلاب، حيث أثمر ذلك التحالف انتصاراً على مملكة «علوة» المملكة النوبية الثانية القوية في العصر الوسيط في السودان.

عرفت تلك المملكة التي ازدهرت وذاع صيتها وقوي مركزها لقرون من الزمن بأسماء متعددة، فتارة يطلق عليها مملكة الفونج، وأحياناً السلطنة الزرقاء، وأحياناً أخرى تسمى الدولة السنارية، واستمرت زهاء 360 عاماً وقد نادى بعض المثقفين عند استقلال السودان باعتماد أسم سنار للدلالة على السودان الوليد، لأهمية العودة إلى التراث السوداني في عصر سنار والمزج بين التراث والتحديث في عملية نهضة البلاد وتقديمها، بيد أن الرئيس إسماعيل الأزهري فضل أسم «السودان» الذي عرفت به البلاد منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

نشأت سنار مركز الحكم وعاصمة للدولة السنارية، واعتبرت من أعظم المدن في الشرق، إلا أن هناك خلافاً حول وجودها قبل نشأة الدولة السنارية، فكتاب الشونة يشير إلى أن تاريخ قيامها يتزامن مع السلطنة، إلا أن مكي شبكية يشير إلى وجود سنار وكانت في تقديره تمثل محطة لامين بيت السلطان عمارة دنقس، إذ أن موقعها يمكنها من جباية الضرائب على من حولها من المناطق الزراعية، والراجح أن نشأتها لازمت قيام سلطنة سنار واول سلاطينها جعلها مقراً للحكم وظلت طوال حكم الفونج عاصمة للدولة السنارية (12). وبالإضافة إلى مكانتها الروحية والثقافية، بلغت دولة سنار شأناً عالياً في التجارة والرخاء الاقتصادي، بلغ ذروته في عهد الملك بادي الرابع، حيث امتدت قوافلها التجارية إلى الهند، ووصلت إلى أجزاء واسعة من الجزيرة العربية وأفريقيا. وتعود الخلفية التاريخية للمنطقة بقيام مملكة الفونج الإسلامية والتي هي ثمرة تحالف بين الفونج بقيادة زعيمهم عمارة دنقس، والعبدلاب بقيادة زعيمهم عبد الله جماع عام 1504م، وتشير معظم المصادر إلى أن عبد الله جماع زعيم العبدلاب قام بالدور الأكبر في هذا الحلف وعمل على تجميع كل القبائل العربية والقوى الإسلامية في المنطقة وعلى رأسها الفونج لتحقيق أهدافه وغاياته النبيلة في الإنتصار للإسلام والمسلمين، وكان عبد الله جماع معروفاً بثقافة الفكر وسداد الرأي، وكان دوره بالغ الأهمية في تلك الفترة، أما الفونج كان لهدم دور رئيسي في الاشتراك بقوة عسكرية أدت إلى سقوط دولة علوة المسيحية وتخريب عاصمتها سوبا (13). وتعتبر سلطنة الفونج من أهم السلطنات التي ظهرت في السودان منذ أوائل القرن السادس عشر حتى بداية العشرينات من القرن التاسع عشر الميلادي، وقامت الدولة على أساس التحالف سابق الذكر بين الفونج والعبدلاب للقضاء على دولة علوة المسيحية وتأسيس دولة إسلامية على انقاضها. وأدى هذا التحالف إلى إقامة صرح سياسي جديد يمثل نوعاً من الحكم الذي يعطي للفونج الكلمة الأولى في إدارة البلاد، كما يمثل نوعاً من التحالف الفضفاض بين زعامات أو مشيخات قبلية متعددة بينها وبين العبدلاب من جهة والفونج من جهة أخرى على مستوي أدني (14). وامتدت حدود دولة الفونج من الشلال الثالث شمالاً حتى جبال فازوغلي جنوباً، وكان تقسيم المملكة بين الفونج

والعبدلاب على النحو التالي :

- قسم شمل كل المناطق التي تمتد من أربجي شمالاً وحتى جبال فازوغلي جنوباً تحت حكم الفونج مباشرة وعاصمتهم سنار .
- قسم شمل المناطق الممتدة من أربجي حتى الشلال الثالث شمالاً تقع تحت حكم العبدلاب وعاصمتهم قري .

وقد جسدت سنار لأكثر من 300 عام نموذجاً للمدينة التي يذوب فيها الولاء القبلي، بل وحتى الولاء القومي، تحت تأثير الانتماء لعناصر المزيح الحضريّة، فتخلّى كثير ممن التحق بها من الحجاج القادمين من غرب أفريقيا عبر طريق الحج السوداني والذي كانت سنار من أهم محطاته- عن انتمائهم لقومياتهم المختلفة وقماها روحاً وكياناً في هذه المدينة الإسلامية . وسقطت سنار في أيدي القوات التركية المصرية في أكتوبر 1821م ، وقررت الإدارة التركية الجديدة أن يحكم السودان من الخرطوم عند التقاء النيلين . وفي القرن التاسع عشر كانت المنطقة شبه مهجورة في فترة الدولة المهديّة ، وقد ذكر الألماني « فردناند ويرني » بأن الجنود المصريين أخبروه عن قدوم سنار. وعادت إلى سنار أهميتها كمركز تجاري وزراعي للسودان بعد تأسيس مشروع الجزيرة ، حيث استدعى ذلك بناء خزان سنار وبناء شبكة من الخطوط الحديدية لربط مناطق الانتاج بمناطق التصدير في بورتسودان على البحر الأحمر .

تطور سنار في عهد الدولة السنارية :

تمثلت مجموعة من العوامل الطبيعية والبشرية ساعدت على تطور سنار كعاصمة مميزة في عهد الدولة السنارية على النحو التالي :

(1) الموقع :

تقع مدينة سنار عند تقاطع خط طول 34 ش مع دائرة العرض 13 ق ، أدى هذا الموقع المتوسط بين النيلين الأزرق والأبيض إلى أن تكون سنار جاذبة لكثير من الجماعات السكانية حتى صارت واحدة من أكثر مدن السودان نمواً وتنوعاً ، كما أن هذا الموقع في نطاق الحزام المطير في منطقة السافانا الغنية أكسبها موقع استراتيجي هام لانتاج المحاصيل الغنية التي تعتمد على الأمطار⁽¹⁵⁾ . وتتميز منطقة سنار بصيف حار ممطر تصل الحرارة فيه إلى 41 درجة فما فوق التقسيم المئوي ، وتقل فيه درجة الحرارة حوالي 17 درجة مئوية في الشتاء مما جعل لها مناخاً محتملاً من قبل الإنسان والحيوان .

(2) السكان :

كان عدد سكان سنار في عام 1700م حوالي 100 ألف شخص حسب الرحالة الفرنسي جاك بونس ، كما زارها الرحالة الاسكتلندي جيمس بروس في طريقه إلى منابع النيل الأزرق عام 1770م ووصفها بأنها مدينة كبيرة ومخططة ومزدحمة بالسكان وتضم مناطق سكنية منتشرة في كافة انحاءها ومن مختلف القبائل التي اتت إليها من نواحي السودان المختلفة⁽¹⁶⁾ . ومن الملاحظ أن الثقافة تحتل مكان الصدارة في النقاش المعاصر بشأن الهوية والتماسك الاجتماعي والتنمية

الاقتصادية ، وهو ما كان ملوك سنار يحرصون عليه ويحترمون تنوع الثقافات والتسامح والحوار كضمان لتحقيق السلام الاجتماعي ، وأن عمليات التبادل العديدة التي جرت في منطقة سنار والاتصال بين الثقافات القبلية المختلفة أدت إلى درجة عالية من التعايش بين المجموعات في نفس الرقعة الجغرافية ، وأن الحفاظ على التنوع الثقافي ساعد على تماسك المجتمع وجسر الهوة بين الثقافات ، وكان وسيلة ضرورية لتعزيز السلام والاستقرار باعتبار أن تلاقح الثقافات هو أفضل ضمان لتحقيق ذلك . وكان التعدد الثقافي عنصر ضروري لترجمة القيمة الموضوعية في الواقعين السياسي والاخلاقي ، وكانت التعددية هي محرك للنهضة ومؤثر في التقدم واستمرار التنمية وبناء الوحدة الوطنية⁽¹⁷⁾.

(3) وسائل النقل :

يعد نهر النيل هو الممر الرئيسي للنقل أيام الدولة السنارية ، فكانت مسالك الطرق البرية محاذية لنهر النيل ، وكانت سنار في موقع تلتقي فيه طرق النقل التي جعلت منها محاور أساسية تمتد منها شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالاً ، وأصبحت سنار ذا كثافة سكانية عالية ونواة قومية ينبعث منها الشعور الوطني والانتماء للدولة .

(4) تطور النشاط التجاري :

الموقع المتميز لمدينة سنار جعل منها مركز تجاري هام ومكان لتلاقي الثقافات وتتردد عليها القوافل التجارية بينها وبين كل من مصر ودنقلا وبلاد النوبة وبرنو وفزان ، حيث اشتهرت سنار بالثروة والغنى ولها العديد من الصادرات والواردات ، وقد تطور النشاط التجاري بسبب اتساع السوق الداخلية واتساع دائرة التعامل بالنقد ، إضافة إلى ظهور طبقة التجار التي احترفت التجارة اصلاً بجانب توفر الحماية للقوافل التجارية⁽¹⁸⁾ . وكانت للطريق الغربي الذي يربط سنار ببلاد الغرب الأفريقي أهمية اقتصادية كبيرة على سنار وماجاورها ، حيث يتم به نقل تجارة الغرب الأفريقي من بلاد برنو وباقرمي ودارفور وكردفان إلى الشرق ، وتعود محملة بالمنتجات الشرقية من جزر الهند الشرقية من عطور وتوابل (19) . وقد أسهمت التجارة الداخلية والخارجية في زيادة دخل الدولة السنارية من السلع والأموال ، كما أسهمت في إنعاش الاقتصاد السناري الذي يعتمد على التجارة والضرائب بأنواعها المختلفة ، ويمكن القول أن العمل التجاري وإنعاش الأسواق الداخلية ساعد على إيجاد حراك داخلي عمل على تقوية الدولة السنارية وتوفير الرفاه الاقتصادي للسكان المحليين .

(5) نظم الحكم والإدارة :

نجحت الدولة السنارية في تشكيل إقليماً جغرافياً إدارياً يمكن وصفه بمنظومة ذات بنية مكانية جميع عناصرها مترابطة بعضها ببعض إدارياً واجتماعياً وسياسياً بفعالها مع الوسط المحيط . وخضعت الوظيفة الإدارية لسنار العاصمة للاختيار الحكومي ، ويكون الاختيار معتمداً على عدد من العوامل من أهمها الموقع المتوسط في إقليمها . وكانت سنار تقوم باعداد وإصدار الأنظمة والقوانين ومقر رئاسة الدولة السنارية والأجهزة الحكومية ، وهي المكان الأول لمصدر القوة والسلطة للتأكد من السيطرة الإدارية التامة على كافة أقاليم الدولة السنارية⁽²⁰⁾.

وتتلخص الوظيفة الإدارية في :

1. مجلس السلطان أو الأعيان ، ويتكون من أكبر الدولة وبعض أفراد العائلة وحكام المدن والقضاة ومهمته تصريف شؤون الدولة ومساعدة السلطان.
2. القصر الملكي ، وهو قصر الحكومة بناه السلطان بادي أبو دقن في منتصف القرن السابع عشر ليفي بمطالبات مراسم الدولة وللنظر في بعض القضايا الهامة الخاصة بديوان المظالم بينما ينظر في القضايا الأخرى في بيوت القضاة، وكان القصر الملكي ظاهرة معمارية متفردة .

(6) معسكرات الجيش :

حيث عرفت الدولة السنارية الجيش المنظم منذ أيامها الأولى ، وأقيمت المعسكرات فور إنشاء مدينة سنار ، وكان الجيش في الدولة السنارية هو الركيزة الأساسية التي قامت عليها الدولة ، وقد لاحظ (جوزيف بروس) الرحالة الأوروبي عندما زار سنار في العام 1772م قوة جيش الفونج وسطوته ووصفه بأنه كان أعظم قوة ضاربة في أعالي النيل ، وقد تميزت نشأت الدولة السنارية بأنها نشأة عسكرية⁽²¹⁾ وأستفادت الدولة السنارية في تنظيم الجيش من الموروثات التي اكتسبتها من مصدرين هما موروثات الجيوش الإسلامية التي حملتها القبائل العربية التي هاجرت إلى السودان ، وموروث الممالك السودانية القديمة الكوشية والنوبية .

كما كانت له مهمة أساسية هي الحفاظ على حدود الدولة وحفظ الأمن والسلم ، وكانت له مهام أخرى بجانب المهام الأساسية فقد كان الجيش يشارك في استعراض أسبوعي في العاصمة سنار ، كما كان يشارك في المناسبات والمناسبات العامة أوقات السلم (22).

الاستشراف الإستراتيجي لتطوير إقليم سنار مستقبلاً :

يستخدم مفهوم الإقليم استخداماً معيناً في شتى مجالات المعرفة ، وهو يعني مساحة معينة أو حيز جغرافي ذا خصائص طبيعية وتاريخية وبشرية واقتصادية معينة ، وهو أيضاً الرقعة الجغرافية التي يقطنها الأفراد أو المواطنين ولها حدود معينة ومعلومة (23) .

يأخذ مفهوم الدولة الحديثة بعداً تنموياً عبر تأثير المجتمع المدني في رسم السياسات العامة للتنمية البشرية، وحصر دور الدولة في تهيئة بيئة قانونية وبنية تحتية ملائمة لنمو القطاع الخاص. وفي مجال الاقتصاد ينبثق عن الدولة الحديثة استقرار سياسي مقبول يوفر لجميع أفراد المجتمع ومكوناته العمل والحياة الكريمة وحقوقاً عادلة، وذلك من خلال آليات معروفة كالمشروعات الاقتصادية ونظام مصرفي شفاف يدعم الاستثمارات . والدولة الحديثة على الصعيد السياسي، هي تلك المؤسسة التي تقوم على فصل السلطات، والتكامل بين الحقوق السياسية والحقوق المدنية، ويجري فيها تداول السلطة بطرق ديمقراطية، وتقوم على قانون انتخاب يتمثل فيه الجميع، ويكون لديها القدرة على توحيد شعبيها وصونه من النزاعات الداخلية. وعموماً تقوم عملية بناء الدولة الحديثة على خمسة أركان أساسية كانت باجماع علماء السياسة وربما تزيد عن ذلك أو

تتفرع أحياناً إذا اعتبرت هذه الفروع مهمة في ذاتها وهي ⁽²⁴⁾ :

- درجة التجانس الاجتماعي التي تنعكس في الاستقرار الاجتماعي والذي بدوره يقود إلى تحقيق الغايات والأهداف الإنسانية ويقود إلى ولاء اجتماعي قوي .
- السلطة والمؤسسات السياسية ، ولابد أن تتصف السلطة الحاكمة بالسيادة بمعنى أن سلطة الدولة مطلقة وغير قابلة للتجزئة .
- الشرعية السياسية (الطاعة والولاء) ، وهي ضرورة للسلطة السياسية حتى تستطيع القيام بدورها المطلوب وتحقيق الاستقرار السياسي ، وهي تعني احقية السلطة في ممارستها على الآخرين .
- القانون العرفي ، حيث هناك اجماع بين المفكرين على أن الدولة لا تقوم إلا على ما يتعارف عليه الناس حسب الأحوال الظرفية ، وهي الاعراف القانونية التي تنظم العلاقة بين الحكام والمحكومين وما يسمى اليوم بحكم القانون .
- رواد البناء والتطوير ، ومقصود بها النخب السياسية ودورها في مرحلة البناء والتأسيس ، وطبيعة النخبة السياسية ومنهجها السياسي عاملاً مهماً في تحقيق الاستقرار السياسي وتهيئة مناخ التنمية .

ويمكن استخدام الاستشراف الاستراتيجي لتطوير الأقاليم ، إذ يعتبر تطور الإقليم هو ثمرة لديناميته الذاتية ، فتعدد المبادرات المحلية هي التي تدفع للعمل والتطوير ، ويمكن الاستفادة من الضغوط الخارجية والعولمة والتغيرات التقنية باعتبارها فرص يجب استغلالها أكثر من كونها عوائق ، فالاستشراف المستقبلي يمثل رافعة قوية للديناميكية الإيجابية باستعماله مناهج بسيطة وقابلة للملك ⁽²⁵⁾ . ويعتبر التدبير هو علاقة سلطة ، وتعتبر السلطة الحاكمة في الإقليم هي الممارسة العملية لهذه السلطة ، وهو ما يعني كل فاعل لآليات التسيير للتعبير عن الطلب وصياغة الأهداف وضمان متابعة السياسات .

وترتبط عملية التدبير بالإصلاح الإداري ، وهو سلسلة من التحسينات التي تبدأ باعادة تنظيم الهيكل الإداري في التغيرات البسيطة في أساليب العمل ، وهو كذلك أي تغيير أصلي في التنظيم الإداري ، كما يمثل تحسين الجوانب الإنسانية التي تهدف إلى زيادة كفاءة وإنتاجية الجهاز الحكومي ⁽²⁶⁾ .

هنالك مجموعة من الأسس وفقاً للإستشراف الاستراتيجي يعتقد أنها تعمل على تطوير منطقة سنار الحالية - والتي تعتبر هي ارث للدولة السنارية ، في المستقبل عبر المدي البعيد (23):

الأسس السياسية :

- النظام السياسي لا يخرج عن النمط العام للنظام السياسي في الدولة هو نظام ديمقراطي يقوم على التعددية السياسية والحزبية بهدف التداول السلمي للسلطة ،

على أن تكون الأحزاب السياسية هي عماد العمل السياسي الديمقراطي داخل مجتمع سنار السياسي .

- أن تستغل منطقة سنار الحدود الجغرافية مع دول الجوار في المحيط الإقليمي لخلق علاقات تعاونية متينة والالتزام بسياسة خارجية تقوم على بناء اتفاقيات مشتركة في التعاون الاقتصادي وتبادل السلع والخدمات والعنصر البشري بما يتماشى مع العلاقات الخارجية العامة للسلطة المركزية وعلاقاتها الدولية وسياساتها تجاه دول المحيط الإقليمي.
- احترام حقوق المواطنة لكل سكان منطقة سنار وتحريم سياسة الاقصاء وضرورة قبول الآخر والتوفيق بين الرؤى المتباينة بين القوى السياسية المختلفة داخل منطقة سنار الجغرافية .
- الأسس الاقتصادية :
- حرية النشاط الاقتصادي بما يحقق العدالة الاجتماعية وهو إلزام من السلطة الحاكمة للمنطقة تجاه مصلحة الفرد .
- تبني حكومة الإقليم تحقيق شراكات اقتصادية فاعلة بين القطاع العام والخاص .
- اعتبار إنسان سنار هو الثروة الحقيقية وهو أساس التنمية ، وضرورة الإلتزام بتنمية الموارد التي يزخر بها الإقليم .
- السعي لتحقيق التجارة البينية مع الدول الحدودية وتنميتها لكي تتحول في المدى البعيد إلى نواة لخلق مناطق تكاملية على طول الشريط الحدودي .
- تلتزم المنطقة بانتهاج سياسة اقتصادية تستهدف تعزيز القدرات الاقتصادية وتطوير الاقتصاد المحلي للمنطقة ، وتعزيز القاعدة الانتاجية للقطاعات الاقتصادية الأخرى غير النفطية .
- ضمان حرية البشر والخدمات على المناطق الحدودية مع إقليم سنار .
- الأسس الاجتماعية :
- ضرورة العمل على تحقيق الهوية بصورة فاعلة لتمييز إنسان منطقة سنار تحمل كل أرث الدولة السنارية القديمة ، لأن الهوية لها القدرة الكامنة على تحويل التعدد والتنوع الذي يميز المنطقة إلى ثروة وطنية لتنمية ونهضة مجتمع سنار ، وتحويل التقاطع والصراع الطائفي إلى احتشاد منظم نحو توجه وطني واحد (27).
- جعل القيم المشتركة لكافة مكونات المجتمع في منطقة سنار هي نقطة الارتكاز الصلبة في بناء مجتمع سنار لوضع أفضل مستقبلاً .
- المساواة أمام القانون في الحقوق والواجبات دون تمييز جنس أو عرق .
- ضمان الحقوق لكل مواطني منطقة سنار بوثيقة قانونية تصدر من المجلس التشريعي.

- يقوم مجتمع سنار على التضامن الاجتماعي القائم على الحرية وتعتبر الأسرة هي الوحدة الأساسية التي يحافظ عليها القانون .
- تتحمل السلطة الفيدرالية في المنطقة الأعباء عن الكوارث الطبيعية والعامة والاهتمام بالتعليم والصحة في المقام الأول .
- الأسس الاستراتيجية والأمنية :
- يقوم العمل الأمني على التوازن بين السلطة والمسؤولية وتوزيع الاختصاصات .
- تكوين هيئة تابعة لجهاز المخابرات والأمن الوطني تعمل على جمع المعلومات وتحليلها وحالتها للجهات المختصة بخصوص النظر في كل ما يهدد أمن وسلامة منطقة سنار .
- إنشاء جسم ذو اختصاص أمني يعني بالشراكة المجتمعية لتطوير العلاقة و الثقة بكل من الأمن والمجتمع .
- إنشاء بروتوكولات للتعاون والتنسيق الأمني مع الدول المجاورة لتأمين الحدود وخلق مناطق تكاملية على طول الشريط الحدودي .

خاتمة :

من خلال الدراسة يتضح أن هناك دور أساسي لاستشراف المستقبل في التخطيط الاستراتيجي الناجح للأقاليم ، وذلك لما اقتضاه تخطيط الدولة ومؤسساتها لجميع سياساتها من أجل الحفاظ على مواردها واستغلالها بالصورة الأمثل وكذلك تحقيق التكامل السياسي القومي والوحدة الوطنية وتحقيق العدالة الاجتماعية ، إضافة إلى تحقيق الأمن القومي .

توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج كما يلي :

أولاً : عملية التخطيط لا تسعى إلى إصلاح الحاضر فقط وإنما يستفاد من أخطائه ونجاحاته ومن خلالها يتم التركيز على نتائج المستقبل ، وهذا يعتمد على التوسع في مجالات البحوث الإستشرافية التي تجسد علاقتها في دراسة واستشراف التطورات المتوقعة ونتائجها ، وعلى قدرات الإنسان والخبرات التي يمتلكها .

ثانياً : تسهم عملية الإستشراف المستقبلي في وضع خطط استراتيجية مستقبلية ناجحة لتطوير الأقاليم في جميع المجالات من خلال الأساليب التي تساعد على رسم هذه الخطط المستقبلية لتطوير الأقاليم .

وتوصي الدراسة بالآتي :

أولاً :

على القيادات السياسية والإدارية في منطقة سنار إدراك أن الحاضر لا يكفي لصياغة النجاح وصناعته ، إذ لابد من أن تمتلك تلك القيادات رؤية واضحة للمستقبل بتحقيق التطور المطلوب لمنطقة سنار الجغرافية ، ويكون ذلك بالاعتماد على تقنية وتطور التكنولوجيا .

ثانياً :

التركيز على البحوث المستقبلية والاستشرافية لأنها دراسة عقلانية للتطور المتوقع ، والاهتمام الموضوعي من قبل صانعي القرار بمخرجات هذه البحوث التي يتم إعدادها من قبل الجهات المختصة بالاستشراف المستقبلي .

ثالثاً :

إعادة إحياء منطقة سنار كمنطقة استراتيجية لوسط السودان تمثل نقطة التقاء كثير من الطرق البرية ، والطرف الرابطة بدول الجوار في المحيط الإقليمي .

الهوامش :

- (1) موسوعة ويكيبيديا ، على الموقع www.wikipedea.com
- (2) وليد عبد الحي ، الدراسات المستقبلية .. النشأة والتطور ، مجلة التسامح ، على الموقع www.altasamoh.net
- (3) حسن ابشر الطيب ، الإستشراف المستقبلي ، سلسلة قضايا مستقبلية ، مركز دراسات المستقبل : الخرطوم ، الطبعة الأولى 2003 ، ص 6 .
- (4) عواطف شاعر ، دور استشراف المستقبل في التخطيط الناجح ، مجلة تكريت للعلوم الإدارية ، المجلد 6 ، العدد 19 ، 2010 ، ص 67 .
- (5) أحمد عبد الفتاح زكي وآخرون ، الدراسات المستقبلية ، دار المسيرة للنشر والتوزيع : عمان - الأردن ، الطبعة الأولى 2003 ، ص 25 .
- (6) محمد حسين ابوصالح ، التخطيط الإستراتيجي القومي ، مطابع العملة : الخرطوم ، 2010 ، ص 56 .
- (7) ميشال غودي وقيس الهمامي ، الإستشراف الإستراتيجي .. المشاكل والمناهج ، سلسلة كراسات ليبسور - الكراس رقم (20) ، مخبر البحث في الإستشراف والاستراتيجية والتنظيم - ليبسور : باريس ، 2005 ، ص 48 .
- (8) نفس المصدر السابق ، ص 49 .
- (9) ريم محمد موسى ، دور المراكز البحثية في نشر ثقافة الدراسات المستقبلية ، ورقة قدمت لمؤتمر الدراسات المستقبلية الأهمية والضرورة ، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية : تونس ، الجمهورية التونسية ، 2012 .
- (10) موسوعة ويسكيبيديا ، مصدر سابق .
- (11) الجزيرة نت على الموقع www.aljazeera.net
- (12) إنعام سليمان محمد إدريس ، نشأة وتطور مدينة سنار في عهد المملكة السنارية ، ورقة قدمت لمؤتمر نظم الحكم والإدارة في الدولة السنارية ، في إطار أعمال مشروع سنار عاصمة الثقافة الإسلامية ، جامعة الجزيرة ، أغسطس 2017 ، ص 230 .
- (13) محمد المرساوي ، تقويم الدور الحضاري لسلطنة الفونج الإسلامية ، على الموقع www.starttime.com
- (14) ريم محمد موسى ، الدوافع السياسية والإستراتيجية للتحالف بين الفونج والعبدلاب ، ورقة قدمت في مؤتمر نظم الحكم والإدارة في الدولة السنارية ، في إطار أعمال مشروع سنار عاصمة الثقافة الإسلامية ، جامعة الجزيرة ، أغسطس 2017 ، ص 232 .
- (15) إنعام سليمان ، مصدر سابق ، ص 232 .
- (16) عثمان عبد الله الزبير ، العوامل الجغرافية المؤثرة في نشأة وتطوير دولة الفونج ، ورقة مقدمة لمؤتمر نظم الحكم والإدارة في الدولة السنارية ، جامعة الجزيرة ، 2017 أغسطس ، ص 218 .

- (17) الأمين العوض حاج أحمد ، إدارة التنوع في مملكة سنار وبناء الوحدة ، ورقة مقدمة لمؤتمر التجربة السنارية وبناء الدولة الحديثة في السودان ، ي إطار أعمال مشروع سنار عاصمة الثقافة الإسلامية ، جامعة الزعيم الازهري ، مارس 2017 ، ص 86 .
- (18) مكي شببكة ، مملكة الفونج الاسلامية ، محاضرات في معهد الدراسات العربية ، الخرطوم ، 1964 ، ص 80 .
- (19) عثمان عبد الله الزبير ، مصدر سابق ، ص 222 .
- (20) فتحي محمد ابوعيانة ، جغرافية العمران ، دار المعرفة الجامعية ، القاهرة ، 2008 ، نقلا عن انعام سليمان ، مصدر سابق ، ص 234 .
- (21) قيصر موسى الزين ، فترة إنتشار الإسلام والسلطنات ، مركز محمد عمر بشير للدراسات السودانية : جامعة أمدرمان الأهلية ، الطبعة الأولى 1998 ، ص 65 .
- (22) مكي شببكة ، السودان عبر القرون ، بيروت : دار الجيل ، 1991 ، ص
- (23) علي محمود دياب ، مفهوم الأقليم من منظور جغرافي بشري ، مجلة جامعة دمشق ، المجلد 28 ، العدد الثاني ، 2012 ، ص 457 .
- (24) حسن الساعوري ، بناء الدولة الحديثة ، ورقة مقدمة لمؤتمر التجربة السنارية بناء الدولة الحديثة في السودان ، جامعة الزعيم الازهري ، مارس 2017 ، ص 1 .
- (25) أسس بناء الدولة والتخطيط الإستراتيجي ، كتيبات الحوار الوطني ، على الموقع
- (26) فيصل بن معيض آل سمير ، استراتيجيات الإصلاح والتطوير الإداري ، مركز الدراسات والبحوث- جامعة نايف للعلوم الأمنية والاستراتيجية : الرياض ، 2007 ، ص 41 .
- (27) إبراهيم الديبة ، عبقرية الهوية الوطنية في بناء الدولة الحديثة ، الجزيرة نت ، على الموقع www.aljazeera.net